محاضرات مادة تاريخ الصحافة العراقية لطلبة المرحلة الأولى

قسم الاعلام / كلية الآداب / جامعة آشور

السنة الدراسية 2024 - 2025

من كتاب (تاريخ الصحافة العراقية)

تأليف مدرس مادة تاريخ الصحافة العراقية

المدرس الدكتور عبد الحسين علوان الدرويش

المحاضرة السابعة

نشأة الصحافة وتطورها في العصور القديمة

ويعود الصحفي الفرنسي الى فضل العراق في نشأة الصحافة فيذكر ان يوسيفوس المؤرخ يؤكد انه كان للبابليين أيضاً صحف فيها الحوادث يوماً فيوماً .

وليس ذلك بدعاً في ما ارى فقد حدثنا التاريخ ان الملك حمورابي العربي النجار على رأي بعض الاحفياء كان يذيع اوامر على عماله في الجهات وموظفي مملكته بأن يحضروا الى بابل احتفاء بموسم جز الغنم وهو من اعيادهم على ما يظهر – وقد حدث مرة ان الشهر القمري لم يوافق الفصل الشمسي المعين لجز الغنم فارسل الملك اذاعة الى جميع عماله يوعز اليهم بها ان يسموا الشهر المذكور أيلول الثاني فهل اذيعت هذه الارادات الملكية الا في (وقائع عراقية) لذلك العصر .

أما وعماد العمل الصحفي في هذا العصر الدعاية وبث المبادئ فقد وجدت في روائع مكتبة الامبراطور اشوربانيبال في نينوى سجلات مفصله ومنسقة بحسب تواريخها وحوادثها ولا سيما ما اتصل بحروب الملوك وفتوحاتهم ومبانيهم فيرى المؤرخ الامريكي الثقة (البروفسور بريستد) : ان معظم تلك الاخبار كأكثر الاخبار الرسمية كان يقصد به نشر دعوة او ترويج مبدأ بحيث يفهم معاصروهم ان ليس هناك قوة تستطيع ان تناؤهم فلنا ان نوقن ان العراقيين القدماء كانت لهم صحافتهم في ذلك الطور . ونجد صحيفة من هذه الصحف العراقية الخالدة تحوي جانباً من (قصة الطوفان) مكتوبة على رقم الطين المستوي في المتحف البريطاني بلندن وقد أخذت من المكتبة العراقية الامبراطورية المشيدة قبل الفين وخمسمائة سنة .

ومن بين ما اكتشفه مديرية أثارنا هذه الايام في اطلال عقرقوف رقم طيني مشوي مقسم الى اثني عشر جدولاً يبين اسماء الاشهر البابلية الاثني عشر مبتدأً بنيسان ويعرف كل يوم من حيث السعد والنحس وما يجب على

الشعب عمله وذلك اشبه ما يكون بما تنشره الصحف اليوم من بلاغات وزير الداخلية في تطبيق مرسوم صيانة الامن وسلامة الدولة او بيانات وزير التموين عن الحنطة والقماش والسكر والشاي

وللأشوريين في هذه الصحافة الحجرية والطينية شيء اخر فهم اول من ابتدع الصحافة المصورة فكانوا يرقمون حوادث انتصاراتهم وبجانب الرقم يصورون بالألوان صوراً للأسرى من ملوك ورعايا فيها مشاهد تصور التمثيل بهم , ويعرضونها في قصورهم واماكنهم العامة وشوارعهم الكبرى , وتلقى نماذج منها في متحفي بغداد ولندن .

واجتازت الصحافة اطواراً قبل اختراع المطبعة , حيث كانت تلقى الاخبار اول الامر مشافهة ثم مضى اصحابها ينسخونها وهي مرحلة الصحافة الخطية .

واذا استعرضنا ما نسميه بالصحافة الشفوية فلنا في هذا تاريخ طويل عريض فالرواية وتناقل الاشعار أنشاءاً وترعرعاً من عهد الجاهلية وفي اوائل عهد الاسلام وقبل الكتابة والنسخ وكثير من الباحثين في الحياة الفكرية العربية يجزمون بأن الرواة والشعراء انما كانوا صحافيين بكل ما في هذا التعبير العصري من قوة من حيث منزلتهم في مجتمعاتهم وتأثيرهم فيها.

كما ان الصحافة السياسية والمصاولات الحزبية القلمية على صفحات الجرائد في هذا الجيل تمثلت بمظهر بارز في ما هدرت به ألسنة الشعراء من المفاخرة والمنابزة والهجاء والمنافحة عن القبائل وحسان بن ثابت يوم فاض الهدى على العالمين والاخطل في ظل الدولة الاموية وعشرات امثالهما في دولة بني العباس , يصح لنا ان نوازنهم بأساطير الصحافة العالمية , ولقد استخدم الشعر حتى للاعلان التجاري , روى صاحب (الاغاني) ان تاجر من اهل الكوفة قدم المدينة بخمار مما تغطي به النساء رؤوسهن فباعها كلها عدا السود منها فلم تنفق , وكان التاجر صديقاً

للدرامي الشاعر فشكا حاله , فأخذت الشاعر الرأفة فقال لصديقه لا تهتم بذلك فأني سأنفقها لك كلها ثم وضع شعراً للغناء بعد ان كان قد هجره طويلاً .

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا صنعت براهب متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

منذ العصور القديمة بحث الانسان عن وسيلة لتبادل الاراء وتناقل الاخبار مع اقرانه , يدفعه بذلك فضوله وحبه للمعرفة ورغبته بمعرفة كل ما يدور حوله للاطمئنان الى البيئة التي يعيش فيها , فكان التحدث مع الاخرين والاتصال بهم وتبادل المعلومات معهم من مقومات حياته الاجتماعية .

ولقد كان الانسان الاول حين لا تسعه وسائل التواصل , يستخدم بعض الحركات والاصوات التي تعبر عن مراده ففيهما المخاطب مثل الاشارة واشعال النار والنداء بأصوات معينة ودق الطبول وغير ذلك من الامور البدائية التي لا يزال بعضها مستخدماً الى عصرنا . وللحفاظ على وجوده كان لابد من ايجاد وسيلة للتعبير عن آرائه وامانه وحاجاته الى غير ذلك , فرسم على جدران الكهوف انفعالاته وذكرياته , مصوراً مشاهد عديدة من مفاصل حياته اليومية , للتعبير عن مشاعره (الفرح او الحزن) لتمثل تلك المرحلة – ان جاز لنا التشبيه – انطلاقة بواكير العملية الصحفية لدى الانسان خصوصاً بعد ان تطورت المفاهيم والاعراف حتى اصبحت الكلمات هي الوسيلة الفعالة التي يعبر عنها الانسان كما يريد.

وتشير الحفريات التاريخية ان العراقيين القدماء عرفوا تبادل الاخبار عن طريق الكتابة على الالواح الطينية (الرقم) بنشر جميع ما يتصل بها بصور الحياة المختلفة , وكانوا يحتفظون بها في معابدهم ومبانيهم العامة , او النقش على المسلات , كمسلة حمورابي الشهيرة – وارسالها للمدن للإبلاغ عن الاوامر والتعليمات التي تسنها الدولة او لتوثيق بطولات الملك وانتصاراته في الحروب التي يخوضها , كما اشار الى ذلك الباحث

الفرنسي (دي شامبور) حينما ذكر عن (يوسيفوس المؤرخ) تأكيده بأنه كان للبابليين صحفهم التي تسجل الحوادث يوماً بيوم .

وكانت هذه الخطابات الطينية (الرقم) توضع في افران لحرقها بعد كتابتها ثم تغلف بعد ذلك بطبقة اخرى من الطين يكتبون فوقها العنوان , وكان ذلك الغلاف بمثابة الظرف لتلك الرسالة , يكسره من يستلم الرسالة ويرمي به لعدم حاجته اليه , ومن جانب اخر كان المنشور الذي اطلق عليه اسم (acta diurna) اي احداث اليوم الذي اصدره يوليوس قيصر عقب توليه للسلطة عام (59 ق . م) هو نموذج من نماذج تبادل الاخبار المخططة في الحضارات القديمة التي كانت تهتم بنشر الاخبار عن مداولات مجلس الشيوخ واخبار الحملات الحربية وبعض الاخبار الاجتماعية الاخرى كأخبار الزواج والمواليد والفضائح واخبار الجرائم والتنبؤات.

ويمكن ان نعد كتابة الشعر العربي على جلود الحيوانات وتعليق المتميز منه على استار الكعبة وسيلة من وسائل الاتصال وممارسة صحفية من نوع اخر ذلك ان الادب او الفن بوجه عام – وكما يذهب الى ذلك تولستوي – هو احد وسائل الاتصال بين الناس حيث يتسنى لكل من يأتي مكة مشاهدة تلك الاشعار وقراءتها والتعرف على القبائل من خلال تغني الشاعر بقبيلة وذكر ايامها وأمجادها , لتمثل جهداً صحفياً من نوع خاص لتبادل الاخبار وتناقلها بين القبائل العربية .

وفي جانب اخر مثلت الوريقات الاخبارية المخطوطة التي ظهرت في القرن الثالث عشر في أوربا وانكلترا على وجه الخصوص بواكير العملية الصحفية والصناعة الحقيقية للخبر المخطوط (المنسوخ) باليد التي كانت تزود كبار التجار ورجال المصارف بأوضاع السوق بواسطة تلك الاوراق التي لها صفتها الصحفية يحررها عملاء لدى هؤلاء التجار .

لتكون تلك المحاولات مقدمة لميلاد الصحافة المطبوعة التي عرفتها معظم دول العالم بعد اختراع الطباعة بمائتي عام اذ راجت تجارة الاخبار

المخطوطة وازدهر نشاط من يجمعون هذه الاخبار ومن ينسخها وذلك نتيجة للتطور الاجتماعي الذي شهدته أوربا نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث.